



" مؤسسة الحسام الإعلامية تقدم "

من اخر وصايا ابن تيمية وهو في سجنه

بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه.

أما بعد : فإن الله ـ وله الحمد ـ قد أنعم علي من نعمه العظيمة ومنته الجسيمة ، وآلائه الكريمة ، ما هو مستوجب لعظيم الشكر ، و الثبات على الطاعة ، واعتياد حسن الصبر ، على فعل المأمور . و العبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء قال تعالى :

(ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقنا نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور)

وتعلمون ، أن الله سبحانه من في هذه القضية من المنن التي فيها من أسباب نصر دينه . وعلو كلمته ، ونصر جنده ، وعزة أوليائه ، وقوة أهل السنة والجماعة ، وذل أهل البدعة والفرقة ، وتقرير ما قرر عندكم من السنة ، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر ، والدلائل ، وظهور الحق . لأمم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة ، وغير ذلك من المنن ، ما لا بد معه من عظيم الشكر ، ومن الصبر ، وإن كان صبراً في سراء .

وتعلمون أن من القواعد العظيمة ، التي هي من جماع الدين : تأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يقول :

(فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم)

ويقول :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

ويقول :

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف ، وتنهى عن الفرقة والاختلاف .

وأهل هذا الأصل : هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه ، هم أهل الفرقة .

وجماع السنة : طاعة الرسول . ولهذا قال النبي ؟ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة :

" إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، ، وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم " .

وفي السنن من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود - فقيهي الصحابة - عن النبي ؟ أنه قال :

" نضر الله أمراً سمع هنا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل فقه غير فيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الامور . ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم " .

وقوله " لا يغل " أي لا يحقد عليهن . فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم ، بل يحبهن ، ويرضاهن .

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل : ما يتعلق بي ، فتعلمون - رضي الله عنكم - أني لا أحب أن يؤذي أحد من عموم المسلمين - فضلا عن أصحابنا - بشيء أصلا ، لا باطناً ولا ظاهراً ، ولا عندي عتب على أحد منهم . ولا لوم أصلا ، بل لهم عندي من الكرامة ، والإجلال و المحبة ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كل بحسبه ، ولا يخلو الرجل . إما أن يكون مجتهداً مصيباً ، أو مخطئاً ، أو مذنباً ، فالأول : مأجور مشكور . والثاني مع أجره على الاجتهاد : فمعفو عنه ، مغفور له . و الثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .

فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل .

كقول القائل : فلان قصر ، فلان ما عمل ، فلان أوذي الشيخ بسببه ، فلان كان سبب هذه القضية ، فلان كان يتكلم في كيد فلان . و نحو هذه الكلمات ، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب ، والإخوان . فإني لا أسامح من آذاهم ، من هذا الباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله بل مثل هذا يعود على قائله بالملام . إلا أن يكون له من حسنة وممن يغفر الله له إن شاء . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضاً : أن ما يجري من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان : ما كان يجري بدمشق ، و مما جرى الآن بمصر ، فليس ذلك غضاضة ولا نقصاً في حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ، ولا بغض ، بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين ، أرفع قدراً ، وأبه ذكرا ، وأحب وأعظم ، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين ، التي يصلح الله بعضهم ببعض ، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى . وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة ، والنعومة ، ما نحمد معه ذلك التخشين .

وتعلمون : أنا جميعاً ، متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا نصر بعضنا بعضاً ، أعظم مما كان ، وأشد ، فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب ، أو الإخوان ، لما قد يظنه من نوع تخشين - عومل به بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك - : فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون و التناصر ، فقد ظن ظن سوء ؟ وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ؟ وما غاب عنا أحد من الجماعة ، أو قدم إلينا الساعة ، أو قبل الساعة ، إلا ومنزلته عندنا اليوم أظم مما كانت ، وأجل ، و أرفع .

وتعلمون - رضي الله عنكم - : أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء وتنوع أحوال أهل الإيمان ، وما لابد منه - من نزعات الشيطان - ما لا يتصور أن يعرى عنه نوع الإنسان . وقد قال تعالى : (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا . ليعذب الله المنافقين و المنافقات ، و المشركين و المشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات وكان الله غفورا رحيما) بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك - تنبيهاً بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى على الأدنى - فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يحل عن الوصف . وكل ما قيل : من كذب وزور ، فهو في حقنا خير ونعمة . قال تعالى :

(إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) .

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما رد به إفك الكاذب و بهتانه .

فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه على ، أو ظلمه وعدوانه ، فإني قدة أحللت كل مسلم . وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي .

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي .

وأما ما يتعلق بحقوق الله ، فإن تابوا تاب الله عليهم ، وإلا فحكم الله نافذ فيهم ، فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله ، لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه ، وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له .

وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم وأنتم تعلمون هذا من خلقي . والأمر أزيد مما كان وأوكد ، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيها تحت حكم الله .

وأنتم تعلمون أن الصديق الأكبر في قضية الإفك ، التي أنزل الله فيها القرآن ، خلف لا يصل مسطح بن أثاثة ، لأنه كان من الخائضين في الإفك . فأنزل الله تعالى :

· ولا يأتل أولو الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولى القربى و المساكين و المهاجرين في سبيل الله و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم و الله غفور رحيم) .

فلما نزلت قال أبو بكر : بلي ، والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فأعاد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق " .

ومع ما ذكر من العفو والإحسان ، وأمثاله ، وأضعافه ، والجهاد على ما بعث الله به رسوله من الكتاب و الحكمة أمر لابد منه ؟ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ؟ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين ، و صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

كتبه الشيخ / تيسير الأنصاري